قراءة في مصطلح الإبدال عند التهانوي في كتابه: «كشاف اصطلاحات الفنون».

أ. عبد القادر بدرون.
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1/ الجزائر.

الملخص:

سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مصطلح الإبدال ومفهومه عند التهانوي من خلال مقاربة بعض النصوص المصطلحية المبثوثة في معجمه المختص: كشاف اصطلاحات الفنون. وذلك بالتعرض لتعريفه لغة واصطلاحا، وتوضيح الحروف المختصة بالإبدال وبيانها عند التهانوي؛ ثم أنواع الإبدال عنده وأخيرا الفرق بين الإبدال والإعلال والقلب.

وقد خلصت الدراسة إلى وجود صلة متينة بين تعريف الإبدال لغة واصطلاحا عند التهانوي، وهذا ما يرتضيه الرجل، وإلى أن علماء الصرف قد اختلفوا حول عدد حروف الإبدال، وأن التهانوي قد حصرها في أربعة عشر حرفا، وهو في هذا متبع لابن الحاجب في الشافية.

وأظهرت الدراسة أن التهانوي يميز بين أنواع الإبدال من جهة، ويفرق بينه وبين الإعلال والقلب من جهة أخرى.

كما بينت أيضا أن هذه المصطلحات الثلاثة يحكمها نسق مفهومي واحد موحد، وأن الإبدال هو نواتها ذلك أن هذا الأخير يحتويها ويعمها جميعا.

Summary

This study shed light on the transposition and its notion in Attahanwi by making an approach of some terminological texts included in its specialized dictionary "Kashef Istilahat al-Funun" by exposing its lexical and contextual definition and explaining the transposition letters and demonstrate them in TAHANOUI, then demonstrate the types of transposition and finally the difference between softening a weak letter and the transforming .

This study concluded that there is a strong link between the definition of lexical and contextual transposition in Attahanwi, and this is what the scholars grant and that scholars of grammar do not all agree on the number letters from the transposition and that Attahanwi limited them to 14 letters, and so he made Ibn al-Hajib to his book Al-shafia.

This study has shown that Attahanwi distinguishes between the types of transposition on the one hand and he distinguishes also between the softening of a weak letter and transformation on the other hand.

This study has shown that these three terms submit to a conceptual from and that transposition is its core, whereas it encircles and contains it.

تمهيد:

تعالج هذه الورقة مصطلح الإبدال عند التهانوي من خلال معجمه المختص: كشاف اصطلاحات الفنون.

ونروم من خلالها بيان درجة الوعي المصطلحي الذي بلغه هذا الرجل العظيم بالوقوف على مصطلح خطير.

ولئن كان التهانوي قد تناول هذا المصطلح من زوايا مختلفة لغوية وغير لغوية، فإننا في هذه الورقة سنركز اهتمامنا على الزاوية اللغوية فقط، وبشكل مكثف وأشد تركيزا على المصطلح الصرفي. ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية اتبعت الدراسة الخطة الآتية:

تمهيد.

1 – التعريف بالتهانوي وكتابه : كشاف اصطلاحات الفنون.

2 – تعريف الإبدال لغة واصطلاحا.

3– حروف الإبدال.

4– أنواع الإبدال.

5– الفرق بين الإبدال والإعلال والقلب.

ثم خاتمة.

1–التعريف بالتهانوي وكتابه: "كشاف اصطلاحات الفنون " :

يعد التهانوي واحد من أكبر وأشهر العلماء المسلمين في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي، يقول عنه لطفي عبد البديع بأنه: " حسنة من حسنات الإسلام الهندي، ليس له ترجمة فيما نعلم إلا ماورد عنه في كتاب نزهة الخواطر للعلامة عبد الحي الحسيني، وهو محمد اعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي نسبة إلى تهانه موطنه في الهند، أما الفاروقي فنسبة إلى الفاروق عمر بن الخطاب. " (1) وقيل هو:" محمد علي بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر، الفاروقي، السني، الحنفي، التهانوي، الهندي. ولا نعلم شيئا عن ولادته ونشأته، ولكن وفاته بعد سنة 1158هـ، لأنه في هذا التاريخ قد فرغ من تأليف كتابه" (2) كشاف اصطلاحات الفنون هذا الأخير الذي بلغت شهرته الآفاق نظرا لسعته وشموله حيث صار "معلمة للثقافة في الإسلام"(3) على الرغم من أن للتهانوي كتابين آخرين هما:

"أولا: أحكام الأراضي يوجد في المكتبة الهندية تحت رقم 1730 ومكتبة بانكي بور تحت رقم1599 ويقع الكتاب في 19 ورقة، يشتمل على الأبواب التالية :

أ– في بيان معنى دار الإسلام ودار الحرب.

ب– في بيان أحكام أراضي دار الإسلام.

ج– في بيان أنواع الأراضي وأحكامها.

والكتاب لم يزل مخطوطا لم يطبع بعد.

" ثانيا: سبق الغايات في نسق الآيات.و هو كتاب في تفسير القرآن الكريم، ذكر بعض المترجمين أنه للتهانوي، وطبع بالهند عام 1316هـ "(4) .

ولهذا فكتابه:" كشاف اصطلاحات الفنون "، والذي هو متن هذه الدراسة " يعد بحق موسوعة تحوي من كل علم وفن.

وقد سار فيه على طريقة أصحاب المعاجم من حيث تبويبه بحسب حروف الألف باء، وتقسيمه للأبواب إلى فصول وقد جعل الحرف الأخير من كل مادة مفتاحا للفصل.

وقد اتبع المؤلف منهجا علميا يقوم على الدقة والوضوح في تفسيره وتعليقه بعيدا عن المزاجية أو الانفعال، فيبدأ بالمادة المصطلح مفسرا معناها اللغوي في العربية، وفي الفارسية أحيانا، ويذهب بعد ذلك مستعرضا مقالات أهل الاختصاص من اصوليين وفقهاء، وفلاسفة وحكماء، ونحويين وبلغاء

ومنطقيين وأطباء، ومتصوفة وفلكيين وغيرهم من أهل الصناعات والعلوم. ولم يتوقف المؤلف على إيراد الأقوال والآراء فحسب، لكنه كان يناقشها ويمحصها ويقارن بعضها ببعض، ويرد حين يقتضي الأمر ذلك، معتمدا على الأدلة والبراهين العقلية الشرعية "(5). مما يدل على استقصاء شامل لكل مصطلح في كل فن يظهر لنا ذلك من خلال توسعه " في إيراد المسائل التي اقتضاها البحث معتمدا على الكتب المعتبرة في العلوم المختلفة وعلى آراء الثقات من العلماء والمؤلفين، وذكر المظان التي نقل عنها يوردها في أثناء المادة أو في آخرها "(6).

ولا شك أن هذه المميزات الكثيرة هي التي جعلت الباحثين والدارسين – من كل الاختصاصات– يتهافتون على معجمه من أجل الإفادة منه في إثراء بحوثهم ودراساتهم، وهي العلة نفسها التي دفعت بهذه الورقة إلى أن ترى النور من أجل الكشف والاكتشاف في معجم الكشاف.

2– تعريف الإبدال لغة واصطلاحا :

أ– لغة: مهد التهانوي شرحه لمصطلح الإبدال بالتعريف اللغوي لاعتقاده بوجود رابط قوي بينه وبين التعريف الاصطلاحي فقال: "الإبدال بكسر الهمزة بدل كردن والتبديل مثله. وقيل التبديل تغيير الشيء عن حاله، والإبدال جعل شيء مكان آخر، هكذا في بعض كتب اللغة"(7). وقال في مدخل آخر: "التبديل لغة هو الإبدال."(8)، وقال أيضا:"البدل بسكون الدال المهملة مع فتح الباء وكسرها هو القائم مقام الشيء، والبديل مثله، الأبدال والبدلاء الجمع "(9).

و مما سبق يظهر أن اختلاف الدوال لم يترتب عليه اختلاف المدلولات عند التهانوي، أو بتعبير أدق اختلاف التسميات لم يترتب عليه اختلاف المفاهيم، ذلك أن جميعها حدد مفهوم الإبدال لغة في أنه :(جعل شيء مكان آخر)،أو (هو القائم مقام غيره). بالإضافة إلى أن التهانوي يعد هذه المصطلحات الأربعة: الإبدال والتبديل والبدل والبديل كلها مترادفة.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المفهوم اللغوي لمصطلح الإبدال هو عينه الموجود في المعاجم اللغوية العربية.

جاء في لسان العرب لابن منظور:"...وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل. واستبدل الشيء بغيره

وتبدله به إذا أخذه مكانه. والمبادلة: التبادل. والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله، والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات بدا ؛ قاله أبو الهيثم، والعامة تقول بقال. "(10).

و لا يختلف مفهوم الإبدال عند الفيومي عما جاء عند ابن منظور فقد ورد في معجمه ما يأتي: "البدل بفتحتين والبدل بالكسر والبديل كلها بمعنى، والجمع أبدال، و أبدلته بكذا إبدالا نحيت الأول وجعلت الثاني مكانه، وبدلته تبديلا بمعنى غيرت صورته تغييرا."(11) ولا يبعد مفهوم الإبدال عند الزمخشري عن سابقيه غير أنه أضاف له مسحة بلاغية وجمالية بقوله:"...أبدله بخوفه أمنا وبدله مثله. وبدل الشيء: غيره. ...وهذا بديل ماله عديل، ورب بدل شر من بدل وهو وجع العظام"(12) .

ب- اصطلاحا: عرف التهانوي الإبدال اصطلاحا، _أي في اصطلاح الصرفيين - بأنه: "هو الحرف القائم مقام غيره " (13). ثم يثني بعد ذلك بتعريف ثان مشيرا بدقة إلى الكتاب الذي أخذه منه وإلى مؤلفه فيقول:" قال ابن الحاجب في الشافية (14): " الإبدال جعل حرف مكان حرف غيره " (15) ثم يزيد عبارة ابن الحاجب توضيحا وتحديدا بقوله: " أي جعل حرف من حروف الإبدال " (16) .و هكذا يفهم المتلقي ضمنيا من خلال هذه العبارة التوضيحية، أن الإبدال يختص بحروف معينة وهي المسماة حروف الإبدال وليس يشمل كل الحروف العربية .هذا من

جهة، ومن جهة أخرى يدفعه دفعا إلى السؤال عن ماهية هذه الحروف وعن عددها. فما هي حروف الإبدال؟ وما هو عددها؟ وهل اللغويون العرب أجمعوا على هذه المسألة أم اختلفوا ؟ وما هو رأي التهانوي في ذلك؟

3- حروف الإبدال :

يطلق هذا المصطلح عند علماء الصرف خاصة، ويقصدون به أحرفا معلومة مخصوصة يقع فيها الإبدال الصرفي. ولئن أجمعوا على هذا الأمر إلا أنهم اختلفوا في عددها بين متوسع تارة، ومضيق تارة أخرى؛ حيث جعلوها محصورة بين ثمانية أحرف إلى اثنين وعشرين حرفا.

و مهما يكن الأمر، فالذي يهمنا في هذه الورقة هو معرفة رأي التهانوي في ذلك، والذي ينص عليه صراحة في كشافه بقوله: " حروف الإبدال وهي حروف (أنصت يوم جد طاه زل)"(17).أي أن عددها عنده أربعة عشر وقد نقلها عن سابقيه مثلما تؤكد ذلك إحالته الموجزة بقوله :" هكذا يستفاد من شروح الشافية "(18) .

ويبدو أنه خرج من هذا الاختلاف برأي وسط معتدل بعيدا كل البعد عن كل إفراط أو تفريط. على الرغم من أنه متبع وليس بمبتدع، إلا أن ذلك يبين بجلاء طريقة تفكيره المتسمة بالعمق والدقة والتمحيص والاتزان أيضا.

و بعد أن عرفنا حروف الإبدال عند التهانوي، ننتقل بعد ذلك إلى سؤال آخر، وهو: ما هي أنواع الإبدال عنده يا ترى؟!

4-أنواع الإبدال :

يقسم العرب القدماء الإبدال إلى نوعين هما: الإبدال لأجل الإدغام، والإبدال لغير الإدغام.

أولا – الإبدال لأجل الإدغام :

و يحدث هذا النوع "إذا تجاور حرفان بينهما علاقة مخرجية ووصفية فقبل أن تحدث عملية الإدغام –لا بد أن تسبق بعملية إبدال، حتى تحدث عملية التماثل والتي يكون على أساسها الإدغام وذلك كقراءة بعضهم ﴿ **فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا** ﴾ * بتشديد الصاد، فأصله " اصطلحا" أبدلت الطاء صادا ثم حدث الإدغام، وكما حدث هذا حدث مثله في قراءة بعضهم: ﴿ **تأخذهم وهم يخصمون** ﴾** فأصلها " يختصمون " فالتاء والصاد من الحروف المتقاربة فيجوز بينهما الإدغام، ولكن لا يصح الإدغام إلا بحدوث التماثل بينهما، ولهذا أبدلوا من التاء صادا فصارت " يخصصمون" ثم أدغمت الصاد الأولى في الثانية فالتقى ساكنان الخاء والمثل الأول فتخلص بكسر الأول"(19). ويظهر أن التهانوي يعد هذا القسم من باب الإبدال لتوفر شرط :(كون الحرف المبدل من حروف الإبدال). ذلك أن الحرفين اللذين أبدلا في الآيتين اللتين سبق ذكرهما هما: الطاء والتاء على التوالي، وهما من حروف الإبدال عند التهانوي كما ذكرنا آنفا.

و لذلك أبدل كل منهما بحرف آخر هو حرف الصاد لتحدث المماثلة أولا ثم يحدث بعد ذلك الإدغام، وقد أطلق بعضهم على هذا النوع من الإبدال مصطلحا خاصا به

هو: بدل الإدغام. و" هو الإبدال الذي يكون فيه الإدغام واجبا، نحو: " امحى "،(أصلها :انمحى)" (20)

و هناك نوع آخر من بدل الإدغام لا يعده التهانوي من الإبدال مطلقا نفهم ذلك من خلال قوله: " فلا يرد نحو اظلم، فإن أصله اظتلم جعل الظاء مكان تاء افتعل لإرادة الإدغام، فإنه لا يسمى ذلك بدلا لما أن الظاء ليست من حروف الإبدال . (21)"

والذي نطمئن إليه أن هذا النوع أيضا يندرج في باب بدل الإدغام لأن تاء افتعل تأثرت بالظاء قبلها فأبدلت ظاء ثم أدغمت الظاء في الظاء بعد ذلك من أجل الإدغام وهو ما عبر عنه التهانوي بقوله:

(لإرادة الإدغام) وهو من الإدغام الواجب كالمثال الذي مر معنا – منذ قليل– ونعني به كلمة : (انمحى) فهما سيان إذ في كليهما حدثت المماثلة عن طريق تأثير حرف في حرف مجاور له في الكلمة نفسها إلا أنه في كلمة (اظتلم) أثر الحرف الأول في الحرف الثاني، أي من اليمين إلى اليسار ؛ بينما في كلمة :

(انمحى) أثر الحرف الثاني في الحرف الأول أي من اليسار إلى اليمين، ويسمى هذا الأخير تأثير ارجعيا أو مدبرا أما الأول فيطلق عليه التأثير التقدمي أو المقبل. والهدف واحد هو التخفيف وتسهيل النطق ودفع الثقل والاقتصاد في الجهد العضلي.

ثانيا – الإبدال لغير الإدغام:

وينقسم إلى نوعين: الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي. وما يهمنا هنا هو: هل ميز التهانوي جيدا بين الإبدال الصرفي، والإبدال اللغوي من جهة، وأيهما أعطاه أهمية أكبر –في كشافه–، من جهة ثانية؟

أ– الإبدال الصرفي: جاء تعريف الإبدال الصرفي في احد المعاجم اللغوية الحديثة بأنه: "هو جعل حرف مكان حرف آخر من حروف الإبدال في الكلمة الواحدة وفي الموضع نفسه، نحو:"باع "(أصلها: بيع)"(22) وورد تعريفه أيضا بأنه: " إبدال حرف من غيره لضرورة تصريفية ويطلق عليه (الإبدال الصرفي الشائع) أو (الإبدال الضروري، أو اللازم).أي الذي لا بد من إجرائه متى تحققت ضوابطه

وشروطه وهو القياسي الذي يخضع للضوابط والقواعد العامة "(23).

والحقيقة أن التهانوي قد أعطى أهمية أكبر للإبدال الصرفي على الإبدال اللغوي والدليل على ذلك أنه بعد أن قدم لنا المفهوم اللغوي للإبدال انتقل مباشرة إلى تبيان مفهوم الإبدال عند الصرفيين باستفاضة وتوسع كبيرين في الشرح، مثلما يظهر ذلك في متن معجمه، و الذي ذكرنا طرفا منه في تعريف الإبدال اصطلاحا.بينما كان حديثه عن الإبدال اللغوي، مختصرا جدا، مما يعني أنه يميز بين النوعين أو المصطلحين حتى وإن لم يتلفظ بذلك صراحة .و هذا ما سنتبينه من خلال الحديث عن النوع الثاني أي الإبدال اللغوي فما هو مفهومه عند التهانوي ؟ وكيف ميز أو فرق بينه وبين الإبدال الصرفي؟

ب– الإبدال اللغوي: يعد الإبدال اللغوي: " كالإبدال الصرفي إلا أن حروفه كثيرة قيل اثنان وعشرون حرفا، وهو كما نرى يشمل حروف الإبدال الصرفي، وغيرها، وهذا

يوضح لنا أن حروف الإبدال الصرفي قد يحدث فيها إبدالا لغويا؛ لأن الإبدال اللغوي أعم من الإبدال الصرفي، ومعظم الصرفيين ذكروها في باب الإبدال إلا أنهم نبهوا إلى ما هو قياسي وغير قياسي، وهذا دليل على إدراكهم لحقيقة التوسع في ظاهرة الإبدال الصرفي "(24).

وقد عرف بعضهم الإبدال اللغوي بأنه: " هو نزع كلمة من أخرى بتغيير حرف من أحرفها، نحو:"طن" و"دن "و "نعق"و "نهق"، ويشترط بعضهم في هذا النوع من الإبدال ثلاثة شروط:

1- قرب مخرجي الحرفين اللذين يحل أحدهما مكان الآخر.

2- الترادف أو شبهه بين الكلمتين.

3- وحدة القبيلة التي يدور في كلامها اللفظان المبدلان "(25).

وقد أشار التهانوي إلى الإبدال اللغوي إشارة خفيفة جاء فيها: " قال في الإتقان (26)، في نوع بدائع القرآن: الإبدال هو إقامة بعض الحروف مقام بعض. وجعل منه ابن فارس ﴿فانفلق﴾*** أي انفرق. وعن الخليل: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾****، أنه أريد فحاسوا، فقامت الجيم مقام الحاء وقد قرئ بالحاء أيضا. وجعل منه الفارسي﴿ إني أحببت حب الخير﴾*****، أي الخيل. وجعل منه أبو عبيدة ﴿إلا مكاء وتصدية﴾******، أي تصددة انتهى " (27) .

ثم يعلق على ما جاء في الإتقان تعليقا ذكيا يكشف عن مدى قوة وعيه المصطلحي، فيقول: " وهذا المعنى [يقصد المفهوم] ليس عين المعنى [أي: المفهوم

نفسه]الذي ذكره ابن الحاجب، بل قريب منه لعدم الاشتراط ههنا بكون الحرف المبدل من حروف الإبدال كما لا يخفى "(28) .

وبهذا أوضح لنا الفرق –جليا – بين المصطلحين، وهو أن الإبدال اللغوي لا يختص بأحرف معينة بل يشمل تقريبا كل حروف المعجم بما فيها حروف الإبدال، وهو ليس له شروط أو ضوابط معينة يخضع لها فهو غير قياسي بل هو سماعي سواء أكان هذا السماع قراءة أم لهجة.

أما الإبدال الصرفي فهو –كما بين لنا– يختص بأحرف معينة، ويخضع للقياس، ولذلك فهو ضروري واجب. بمعنى أنه يضطر إليه في التصريف، ويوقع تركه في الخطأ واللحن.

والفرق الآخر بينهما، هو أن: " معظم حالات الإبدال اللغوي ترجع إلى لهجات قليلة لبعض العرب أو صيغ مهجورة وتكون صورتا اللفظ –أعني الأصل والفرع والتي أبدلت فيها الحرف– مستعملتين فقد تكون إحداهما أكثر شيوعا واستعمالا من الأخرى، أو أكثر فصاحة، أو ورد عليها الشواهد الكثيرة أما في الإبدال الصرفي القياسي فتكون إحدى صورتيه غير مستعملة، أو نادرة الاستعمال " .(29)

ومهما يكن من أمر فإن الإبدال بنوعيه الداعي له اللفظ وليس المعنى لأنه يهدف إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وتخفيف النطق، ودفع الثقل وتيسير الاتصال اللغوي، وبالتالي فهو يعد من التغيرات اللفظية وليس المعنوية، ذلك أن تغيير الدال لا يترتب

عنه تغيير في المدلول. أي أن له جانبان: ثابت ومتحرك فهو ثابت من حيث المدلول متحرك من حيث الدال. وهذا ما يضمن للغة بقاءها واستمرارها.

ولكي يزيد – التهانوي مصطلح الإبدال توضيحا أكثر فأكثر، نراه يسلط الضوء على مصطلحين آخرين متداخلين معه تداخلا كبيرا، ونعني بهما: مصطلحا: الإعلال والقلب، وهذا لوقوعهما مع الإبدال ضمن المجال المفهومي نفسه، فكيف فرق التهانوي بين المصطلحات الثلاثة يا ترى؟

5– الفرق بين الإبدال والإعلال والقلب :

يبدو أن التهانوي سعى في كشافه إلى بيان الفرق بين الإبدال والإعلال والقلب وهذا لإدراكه لوجود علاقة تداخل بين هذه المصطلحات الثلاثة تحجب المفهوم الصحيح عن المتلقي وتجعله حائرا تائها، فقام بشد انتباهه إلى ضرورة النظر إلى هذه المصطلحات الثلاثة نظرة كلية حينها يخرج المتلقي من تيهه فيميز بين الأصل والفرع فتبرز له علاقات أخرى تحكم هذه المصطلحات وهي علاقات: العام والخاص والأخص ونعني بها الإبدال والإعلال والقلب.

يوضحها التهانوي جميعا بقوله: " ثم الإبدال أعم من الإعلال من وجه، فإن لفظ [مصطلح] الإعلال في اصطلاحهم [الصرفيين] مختص بتغيير حروف العلة بالقلب أو الحذف أو الإسكان. فيصدقان في قال ويصدق الإبدال فقط في السادي، فإن أصله السادس، والإعلال فقط في يدعو؛ وأعم مطلقا من القلب إذ القلب مختص في اصطلاحهم بابدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض. إلا أن المشهور في غير الأربعة لفظ الإبدال"(30) .و لا شك أن هذا ينسجم مع رأي بعض علماء

الصرف الذين يذهبون إلى القول بأن " الإبدال هو تغيير يحدث في أي حرف، وعلى هذا الرأي يصدق الإبدال على مواضع الإعلال، ويكون الإبدال أعم من الإعلال، فتغيير قول إلى قال يسمى إعلالا أو إبدالا"(31).

وهذا يقود إلى سؤال مهم، وهو: هل يمكن أن يجتمع في الكلمة الواحدة إبدال وإعلال معا أم لا؟

والجواب عن هذا السؤال، هو كالآتي: " قد يكون في الكلمة إعلال فقط كما في سماء (أصلها سماو) فقلبت الواو المتطرفة بعد ألف زائدة همزة، أو إبدال فقط كما في اصطحب (أصلها اصتحب) فأبدلت تاء الافتعال طاء، أو إبدال وإعلال معا كما في اصطاد (أصلها اصتيد) فقلب التاء طاء إبدال، وقلب الياء ألفا إعلال "(32). وبتطور العلوم اللغوية واستقلالها وتميزها عن بعضها البعض ازدادت المصطلحات اللغوية تميزا ودقة في التعبير عن المفاهيم العلمية بدقة متناهية متفادية – ما أمكنها ذلك – المشاكل التي تعترض طريقها كالترادف، والاشتراك، والتداخل...الخ. وهذا ما حاول التهانوي تجسيده من خلال مقاربته لمصطلح الإبدال، وغيره من مصطلحات العلوم والفنون المبثوثة في معجمه المختص: كشاف اصطلاحات الفنون. وبهذا يظهر أن المصطلح النواة أو الأس، الذي تقوم عليه هذه المصطلحات هو: مصطلح الإبدال لأنه يتحقق من خلاله الكشف المفهومي للمصطلحات المتداخلة معه –في ذهن المتلقي–فترسم له الحدود وعندها يتبين له جليا أن الإعلال نوع من الإبدال، وأن القلب نوع من الإعلال وبالتالي فهو نوع من أنواع الإبدال أيضا يقول عبد الحميد عبد الواحد: " وأما القلب فهو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على

معنى إحالته إليه بتعبير ابن يعيش، والقلب خلافا للإبدال لا يمس إلا حروفا بعينها أي حروف المد واللين، هذا فضلا عن الهمزة عند بعضهم. وإن كان الإبدال أعم وأشمل، فإن القلب أخص وأضيق ومثلما توجد علاقة بين القلب والإبدال توجد علاقة بين القلب والإعلال؛ لأن الإعلال يتعلق بحرفي العلة، ولا يشمل القلب وحده، وإنما يشمل القلب والحذف والنقل، مما يجعل الإعلال أعم من القلب "(33).

و مما سبق يتبين لنا أن الإبدال هو إزالة حرف ووضع حرف آخر مكانه وهو يشمل الإعلال والقلب بينما الإعلال " هو تغيير يطرأ على أحرف العلة في الكلمات وما يلحق بها (الهمزة)، فيتسبب هذا التغيير بحذف الحرف، أو إسكانه، أو قلبه حرفا آخر من الأربعة المذكورة (ألف – واو– ياء– همزة) وفقا لأصول وقواعد محددة "(34) .

و أما القلب فهو: " تحويل أحد الحروف الأربعة المذكورة إلى حرف آخر منها يحل محله، ويختفي الأول وفقا لقواعد محددة نحو بناء (وأصلها بناي)" (35) .

ولكن عندما يذكر التهانوي الفروق بين مصطلحات: الإبدال والإعلال والقلب؛ لا يعني ذلك أنه لا توجد قواسم مشتركة بينها، بل العكس هو الصحيح، إذ إن هذه المصطلحات التي ذكرها تجتمع وتتفق في نقاط عدة أهمها:

– كل هذه الظواهر اللغوية تحدث بسبب تطور الأصوات من جهة، واختلاف اللهجات من جهة أخرى.

– كلها تأتي نتيجة تأثير عوامل إما من داخل الكلمة ناجمة عن تفاعل الأصوات بعضها مع بعض يفرضها السياق الصوتي الداخلي للغة؛ وإما من خارج الكلمة يفرضها السياق الاجتماعي الخارجي للغة.

– كلها تؤكد أن الأصوات لها أثر كبير في تغيير بنية الكلمة.

– كلها تسهم في تغيير بنية المفردات تغييرا يستدعيه اللفظ ويكون ذلك ضرورة أو استحسانا. وبالتالي فكل هذه التغييرات الداعي لها اللفظ وليس المعنى.

– تعد كلها تغيرات صوتية صرفية أي أنها لا تتعدى المستويين الصوتي والصرفي. وبالتالي فهي تمس بنية الكلمة المفردة، ويشترط أن تكون هذه التغيرات في الموضع نفسه، وفي الكلمة نفسها.

– لا تؤثر هذه التغيرات في الوزن الصرفي.

– كلها تهدف إلى التخفيف وإزالة الثقل، و تسهيل النطق، و الاقتصاد في الجهد العضلي، وسرعة أ داء الكلام وتنوعه بتنوع اللهجات، وبالتالي فهذه الظواهر اللغوية تؤدي إلى ثراء اللغة ونموها من جهة، وإلى الاقتصاد اللغوي وسهولة الامتداد المكاني والزماني من جهة ثانية.

وبهذا نصل إلى نتيجة هي أن مصطلح الإبدال مصطلح واسع جدا لأنه يشمل الإعلال والقلب من جهة ويتداخل مع مصطلح الإدغام من جهة أخرى، وأن دراسة هذه الظواهر جميعها يقود إلى بلورة نماذج إنتاجية محسوسة وحية للكلام.

خاتمة:

ختاما، وبعد هذه القراءة المفهومية لمصطلح الإبدال عند التهانوي في كشافه. توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أولا: أن هناك صلة متينة بين مفهوم الإبدال لغة، ومفهومه اصطلاحا وأنه ليس إلا عملية تخصيص العام أو تقييد المطلق، وقد استثمر التهانوي هذا الجانب جيدا في عملية الشرح والإيضاح.

ثانيا: أن الإبدال لا يقع إلا في حروف معينة مخصوصة، وأنه لم يتحقق إجماع من اللغويين العرب القدماء أو المحدثين حول عددها إلا أن الشيء الوحيد المؤكد والمجمع حوله هو أن الإبدال لا يشمل كل الحروف العربية.

ثالثا: أن التهانوي حصر الحروف المختصة بالإبدال الصرفي في أربعة عشر حرفا وهو في هذا الرأي متبع لسابقيه، وعلى رأسهم ابن الحاجب في الشافية.

رابعا: أن التهانوي يميز جيدا بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي، وأنه أعطى أهمية أكبر للأول على الثاني، وربما يرجع ذلك إلى شيوعه وإلى خضوعه إلى القياس، أي أنه ينتمي إلى اللغة العربية المشتركة عكس الإبدال اللغوي الذي ينتمي إلى لهجات عربية مختلفة ومتنوعة. مع العلم أنه جمع المصطلحان معا في مدخل واحد رغم تباينهما المفهومي.

وهذا يعني حضور المفهوم الصحيح وغياب المصطلح الصريح الدقيق الذي يجسد هذا التباين.

خامسا: وعي التهانوي المصطلحي جعله يتطرق إلى مصطلحي الإعلال والقلب بوصفهما مصطلحين متداخلين مع الإبدال لأنهما يقعان ضمن مجاله المفهومي، فسعى إلى إزالة هذا التداخل والالتباس الموجود في ذهن المتلقي أو القارىء وإرشاده إلى المفهوم الصحيح، ضمن استراتيجية محكمة مبنية على التدرج المفهومي وذلك بالابتداء بالمفهوم العام ثم الخاص ثم الأخص، و وفق تراتبية ألزم فيها نفسه بتقديم الأهم قبل المهم والكل قبل الجزء والأصل قبل الفرع.

الهوامش والاحالات:

1- التهانوي، محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، ترجمة النصوص الفارسية: عبد النعيم محمد حسنين، راجعه: امين الخولي، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (دط)، 1380 هـ-1963 م، ج1، المقدمة ص:و.

2- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه :احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط2، 1427 هـ-2006 م، مج1، المقدمة ص:4 .

3- التهانوي، م ن، تح: لطفي عبد البديع، المقدمة ص :د .

4- التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم واشراف ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي الى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الاجنبية: جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996 م، ج1، ا-ش، المقدمة ص:XXXIV.

5- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، احمد حسن بسج، مج1، المقدمة ص:3.

6- التهانوي، م ن، تح: لطفي عبد البديع، ج1، المقدمة ص:د.

7- التهانوي، م ن، احمد حسن بسج، مج1، ص 197 .

8- التهانوي، م ن، ص ن .

9- التهانوي، م ن، ص :192 .

10- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار بيروت، بيروت-لبنان، (دط)، د ت، مج11، ص :48 .

11- الفيومي المقري احمد بن احمد بن علي، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة-مصر، (دط)، 1429 هـ -2008 م، ص: 30.

12- الزمخشري، ابو قاسم محمود بن عمر، اساس البلاغة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ - 2006 م، ص:32 .

13- التهانوي، م ن، احمد حسن بسج، ص ن .

14- ابن الحاجب، ابو عمرو عثمان بن عمر، تح :البدراوي زهران، شافية ابن الحاجب في ضوء الدرس اللغوي الحديث، نص المتن كاملا، دار الافق العربية، القاهرة-مصر، ط1، 1431 هـ-2010 م، ص:171 .

15- التهانوي، م ن، ص :193 .

16- التهانوي، م ن، ص ن .

17- التهانوي، م ن، ص ن .

18- التهانوي، م ن، ص ن .

- * النساء: 128 .
- ** يس: 49 .

19- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، القسم الأول في النظامين، الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، 1983 م، ص 348 .

20- محمد التنوجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، مراجعة: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414 هـ-1993 م، ج1، ص 126.

21- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ص 193.

22- محمد التنوجي وراجي الأسمر، م ن، ص 12.

23- أنجب غلام نبي بن غلام محمد، الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرانية واللهجات العربية، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، إشراف: أ د، عبد الله درويش، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ-1989 م، ص 302 .

24- أنجب غلام نبي بن غلام محمد، م ن، ص303 .

25- محمد التنوجي وراجي الأسمر، م ن، ص 13 .

26- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القران، تحقيق محمود مرسي عبد الحميد، محمد عوض هيكل، بإشراف: محمد محمد أنور شلبي، دار السلام، القاهرة-مصر، 2008 م، ط1،ج2،ص741.

- *** الشعراء :63 .
- **** الإسراء: 5 .
- ***** ص :32.
- ****** الأنفال: 35 .

27- التهانوي، م ن، ص 193 .

28- التهانوي، م ن، ص ن .

29- أنجب غلام نبي بن غلام محمد، م ن، ص304 .

30- التهانوي، م ن، ص ن .

31- عبد العليم إبراهيم، تيسير الإعلال والإبدال، مكتبة غريب، القاهرة-مصر،(د.ط)، 1389هـ - 1969م، ص5 .

32- عبد العليم إبراهيم، م ن، ص ن .

33- عبد الحميد عبد الواحد،الكلمة في التراث اللساني العربي، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2004 م، ص 196 .

34- ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1996 م، ص 139 .

35- ديزيره سقال، م ن، ص ن .